إطلالة على شرح الخطيب التبريزي على المعلقات واستشهاده بالشواهد

سمية حسنعليان (الأستاذ المشارك الدكتور في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان)
سيد محمدرضا ابن الرسول (الأستاذ الدكتور في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان)

ملخص البحث

لا يخامرنا شك في دور الشاهد في العلوم اللغوية والأدبية وأهمية كتاب الخطيب التبريزي المسمّى "شرح المعلقات"، ومن هذا المنطلق استهدف هذا البحث إلى استخلاص المنهج الذي تميّز به الخطيب في كتابه هذا في التعامل مع الشاهد بأنواعه المختلفة من القرآن، والحديث، والشعر، والمثل، مستخدماً المنهج التوصيفي ـ التحليلي، قائماً على بيان نوع الشواهد، وكميتها.

وقد اتّضح من البحث أن الخطيب اهتمّ بالشاهد اهتماماً بالغاً وتميّز منهجه في كتابه بالإكثار من الشواهد خاصة الشواهد الشعرية للأغراض المختلفة منها: شرح الألفاظ الصعبة، تأكيد المعنى، توضيح قضية نحوية أو صرفية، بيان مسألة بلاغية، الإشارة إلى قضايا صوتية وعروضية.

الكلمات المفتاحية: الخطيب التبريزي، الشاهد، شرح المعلقات العشر، القران الكريم، الحديث، الشعر، المثل

An overview of Al-Khatib Al-Tabrizi's commentary on the Mu'allaqat and his use of evidences/citations

Somayeh Hassanalian
Sayyedmohammadreza ibn-or-rasool

Abstract:

There is no doubt in our minds about the role of evidence in linguistic and literary studies, nor about the importance of Al-Khatib Al-Tabrizi's book titled "Explanation of the Mu'allaqat." Based on this, this research aimed to extract the methodology that distinguished Al-Khatib in his book when dealing with various types of evidence, including the Qur'an, Hadith, poetry, and proverbs. The research employed a descriptive-analytical approach, focusing on identifying the types of evidence and their quantities.

The research revealed that Al-Khatib placed great emphasis on evidence and distinguished his methodology in the book by extensively citing various types, especially poetic evidence for different purposes, such as: explaining difficult vocabulary, confirming meanings, clarifying

grammatical or morphological issues, illustrating rhetorical matters, and pointing to phonetic and prosodic issues.

Keywords: Al-Khatib Al-Tabrizi, evidence, explanation of the ten Mu'allaqat, the Holy Qur'an, Hadith, poetry, proverbs

1. المقدمة:

يقول محمد بن سلام الجمحي في مقدمة كتابه *طبقات فحول الشعراء* في معرض حديثه عن أهمية الشعر الجاهلي، مبدياً رأيه في نقد الشعر ـ وهو من أهم الآراء ـ ما يلي: "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون" [i]

والمعلقات بوصفها جزءاً من الميراث القيّم لدى العرب هي الصورة الأخيرة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الشعري وهي قصائد من مطوّلات الشعر العربي تمتاز بالدقة في المعنى والبعد في الخيال والبراعة في الوزن والصداقة في التعبير عن الحياة التي كان يعيشها العرب في العصر الجاهلي، ولهذا كلّه عدّها النقاد والرواة قديماً قمّة الشعر العربي، ونالت شهرة فاقت شهرة ما سواها وأصبح لأصحابها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم.

لا بدّ من الذكر أنه لا شك في أثر المعلقات في اللغة العربية من النواحي المختلفة النحوية، والبلاغية، والتفسيرية وغيرها إذ تُعتبر قمّةَ اللغة الجاهلية، ولأن المسافة بينها في العصر الجاهلي وبداية هذه العلوم كانت قصيرة ولما كانت للمعلقات مكانة كبيرة في الشعر الجاهلي فإنها لا شك تشكّل محوراً من محاور الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية والدلالية وقد تناول عدد من العلماء هذه القصائد بالشرح والتفسير والتوجيه اللغوي والنحوي والصرفي والصوتي وما زال كثير من العلماء يهتمون بها وبشرحها.

لا شكّ في مكانة الشاهد في العلوم العربية والإسلامية؛ وذلك أن الشاهد يُعدّ هو العصب لها في مرحلة التنظير، وهو المادة في مرحلة التطبيق، كما أنه هو العنصر الأساسي الذي تقعدت بناءً عليه قواعد اللغة وتراكيبها وتعبيراتها. والشواهد لا يقف تأثيرها عند هذا الحد بل إنها لتكوّن في مجموعها تراثًا حضاريًا للأمة لا يمكن التفريط فيه فضلاً عن تجاهله؛ لأنه مرتبط بثقافة هذه الأمة «ارتباطًا وثيقًا منذ وقت مبكر من تاريخها، لما يختزنه من موروث ثقافي وحضاري في حياة العربي، ولما له من أثر كبير في تكوينه الأدبي والمعرفي، حتى غدا ثابتًا من أهم ثوابتها»[ii].

ويعتقد الدكتور إميل بديع يعقوب بأنها تشكل قسمًا مهمًا من تراثنا اللغوي عامة وهي فضلاً عن ذلك تؤلف جزءًا مهمًا من تراثنا الأدبي والحضاري[iii].

هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك قصائد معروفة في العربية بالمعلقات تتعلق بالعصر الجاهلي وهي في غاية النضج في جوانبها اللغوية المختلفة وتعدّ أهم موروث لغوي أدبي للعرب ولهذا أصبحت بؤرة من بؤر

الدراسات اللغوية والأدبية ونظراً لأهمية هذه القصائد في الأدب العربي تناولها عدد من العلماء بالشرح والتفسير والتوجيه اللغوي والنحوي والصرفي والصوتي ـ وما زال كثير من العلماء يهتمون بها وبشرحها ـ ومن هؤلاء العلماء الخطيب التبريزي في كتابه المسمّى *شرح المعلقات العشر*، واستشهد بكثير من الشواهد المختلفة لشرحه هذه القصائد حتى أنه من السمات البارزة لمنهج الخطيب في شرح المعلقات اهتمامه بالشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والأمثال إذ تدلّنا على سعة اطلاعه باللغة العربية، فكان من الأهمية بمكان تسليط الضوء على طبيعة هذه الشواهد ودراستها.

من أهمّ الأهداف التي تقصد هذه المقالة أن تحققها هي: دراسة منهج تعامل الخطيب في كتابه هذا مع الشواهد لشرح المعلقات، وكمية الشواهد في كتابه وكيفيتها.

والمنهج الذي يتبعه هذا البحث هو التوصيفي ـ التحليلي لدراسة الشواهد في كتاب الخطيب.

ولا يفوتنا الذكر بأنه بالنسبة إلى دراسة الشواهد في كتب مختلفة أدبية لغوية فهناك مقالات وكتب قيّمة، ولكن بالنسبة إلى منهج الخطيب في تعامله مع الشواهد فنكاد لا نجد بحثاً شاملاً وافياً للموضوع. ولكن هناك بعض الدراسات ترتبط بالخطيب وكتابه في شرح المعلقات.

2. نبذة عن حياة الخطيب التبريزي:

ISSN: 2394-4862

يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبوزكريا، من أئمة اللغة والأدب، أصله من تبريز. وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة (421هـ). ذكر ابن خلكان أنه ربما يقال له الخطيب وهو وهَمٌ [iv]، ولعل ذلك يعود إلى أن هناك علماء آخرين في العربية يُسمّون بالخطيب كالخطيب القزويني والخطيب البغدادي.

مجلة اللغة . علمية . محكمة . مصنفة .

والخطيب هذا قضى العقدين الأول والثاني من حياته في تبريز، إلّا أن تلك السنوات من عمر التبريزي لم يحتفظ التاريخ بشيء منه فذهبت مع الأيام، ولهذا نحن صامتون أمام طفولته وأيام شبابه. نشأ ببغداد وبعد أن اشتدّ عوده، جذبته أصداء المجالس العلمية في المدن النائية فرحل إلى بلاد الشام فقرأ "*التهذيب اللغة*" للأزهري على أبي العلاء المعرّي. قيل: أتاه يحمل نسخة "التهذيب" في مخلاة على ظهره وقد بللها عرقه حتى يظنّ أنها غريقة! ودخل مصر ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي[v].

لقد كانت البيئات العلمية التي قدمها التبريزي كالشام والعراق و... من أغنى البلاد الإسلامية في تلك الحقبة ثقافة وأحفلها بالمكتبات العامة والخاصة الذاخرة بجميع المؤلفات في العلوم والفنون والآداب وكلها قد تهيّأ للخطيب موارد ثرّة استمدّ منها روافد ثقافته وعلمه وأدبه.

وذكر السمعاني: سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيبرون المقرئ يقول: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضي الطريقة، كان يدمن شرب الخمر ويلبس الحرير والعمامة المذهبة، وكان الناس يقرءون عليه تصانيفه وهو سكران، فذاكرت أبا الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن

خيبرون فسكت وكأنه لم ينكر ذلك ثم قال: ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يرويه وينقله، وولي ابن الخطيب تدريس الأدب بالنظامية وخزانة الكتب بها، وانتهت إليه الرياسة في اللغة والأدب، وسار ذكره في الآفاق ورحل الناس إليه[vi].

صنّف في الأدب واللغة كتباً مفيدة، منها:

- "*تفسير القرآن*".

- كتاب في إعراب *القرآن* سمّاه "*الملخص*".

- "*مقدمة في النحو*".

- "*شرح بانت سعاد*" وهو شرح لقصيدة كعب بن زهير التي امتدح بها الرسول (ص) معلناً إسلامه وشرح التبريزي عليه متوسط بين الإيجاز والتطويل، نشره الأستاذ كرنكو واختصره عبد العزيز بن محمد بن خليل[vii].

- "*شرح ديوان الحماسة لأبي تمام*" مطبوعة في أربعة أجزاء في جزأين بعالم الكتب دون تاريخ، وبدار الكتاب العربي عام 1994م.

- "*تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت*". حقّق هذا الكتابَ فوزي عبد العزيز مسعود وتولّت نشره الهيئة المصرية للكتاب عام 1986م، ونشرته أيضاً دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد عام 1991م. وهناك كتاب "*كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ*" لابن السكيت هذّبه الخطيب ووقف على طبعه وجمع رواياته لويس شيخو اليسوعي ونُشر في مؤسسة نشر كاتوليك عام 1896م.

- "*شرح سقط الزند للمعرّي*" وقد طبع مع شرحيْ أبي محمد عبد الله بن محمّد البطليوسي وأبوالفضل قاسم بن حسين الخوارزمي في 4 مجلدات في مجلدين باسم "*شروح سقط الزند*"، بالدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ. وهو شرح متوسط بين الإيجاز والإطناب وزعم صاحب *كشف الظنون* أنّه مختصر جدّاً[viii].

- "*شرح اختيارات المفضل الضبي*" موجود بخطه، من نفائس دار الكتب العامة بتونس (رقم 531م)" وحققه فخر الدين قباوة موضوعاً لرسالته في الدكتوراه عام 1964م، وتولّت طبعه دار الفكر المعاصر عام 2002م.

- "*تهذيب غريب الحديث*"، غريب الحديث مصنف فسر فيه أبو عبيد بن سلام بعض الغريب في الحديث النبوي معتمداً على كتاب "غريب الحديث" لأبي عبيدة وقد أصبح كتابه على تأخّره يفوقه "لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة، والمعاني اللطيفة والفوائد الجمّة ... فإنّه أفنى فيه عمره، وأطاب به ذكره حتى لقد قال فيما يُروى عنه: إنّي جمعت كتابي هذا في أربعين سنة وهو كان خلاصة عمري"[ix].

- "*الوافي في العروض والقوافي*" وذكره ياقوت باسم الكافي في العروض والقوافي، حققه عمر يحيى وفخر الدين قباوة، وطبع بدمشق، دون تاريخ، وتولّت طبعته الأولى دار الفكر ببيروت عام 1970م، وطبعته الثانية عام 1986م.

- "*الملخص في إعراب القرآن*" وهو مخطوط حتى الآن[x].

- "شرح مشكل من ديوان أبي تمام"

- "شرح شعر المتنبي" وهو شرح مطول منه نسخة مخطوطة في مكتبة باريس: أول 3101 - 3104 وقد سمّاه "الموضح"[xi].

- "شرح اللمع لابن جني" واللمع كتاب إعراب وصرف جمعه ابن جني من أستاذه أبي علي الفارسي وقد شرحه الخطيب، وفي دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت الرقم 576 نحو تيمورية وقد ذكر فخرالدين قباوة أنه وقف عليها وثبت لديه أنها ليست للتبريزي [xii].

- "شرح المقصورة الدريدية" حققه فخر الدين قباوة وطبته مكتبة المعارف عام 1994م.

- "تهذيب مقاتل الفرسان" وهو شرح لكتاب "مقاتل الفرسان" لأبي عبيدة وقد وهم بعض القدماء والمحدثين فنسبوه إلى التبريزي وفي المتحف البريطاني نسخة خطية لعلها "تهذيب مقاتل الفرسان" للتبريزي[xiii].

- "ديوان ذي الرمّة" شرحه الخطيب وطبع بدار الكتاب العربي عام 1993م، وطبعته الثانية عام 1996م.

- "شرح ديوان عنترة" طبع بدار الكتاب العربي عام 1992م.

- "شرح ديوان امرئ القيس" ذُكر أن في مكتبة مكركوي التي كان يملكها إسماعيل باشا البغدادي نسخة مخطوطة منه[xiv].

- "شرح ديوان النابغة الذبياني"، نسبه إليه بروكلمان وذكر أنّ في مكتبة فيض الله بإستانبول نسخة منه تحت الرقم 1962[xv] وذكر قباوة أنّه رجع إلى النسخة فإذا هي مقروءة على أبي زكريا التبريزي وليست من تصنيفه[xvi].

- "شرح القصائد العشر" الذي عُرف في الأوساط العلمية بهذا الاسم وكان التبريزي قد صنع قبله كتاباً آخر لتفسير القصائد السبع سُمّي "شرح المعلقات السبع".

والذي نهتم به هاهنا وندرس منهج التبريزي فيه هو «*شرح المعلقات العشر*» تحقيق فخر الدين قباوة من منشورات دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، طبع عام 1997م.

2- 3- وفاته

توفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسمائة (502 للهجرة) ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز[xvii].

3. مصادر الخطيب في شرحه

في قائمة أسماء العلماء الذين نحصل عليها في شرح الخطيب للمعلقات تلمع أسماء هؤلاء العلماء في الجدول التالي:

الجدول رقم 6-1- مصادر الخطيب التبريزي في شرحه على المعلقات

الرقم	مصادر الخطيب	مرات الأخذ
1	الأصمعي	66
2	أبو عبيدة	42
3	سيبويه	36
4	ابن كيسان	26
5	المبرد	21
6	أحمد بن عبيد	17
7	أبو عمرو الشيباني	16
8	الفراء	16
9	ابن الأعرابي	15
10	ابن السكيت	12
11	ابن الأنباري	11
12	الخليل	11
13	أبو جعفر النحاس	7
14	الزجاج	7
15	أبو زيد	6
16	الأخفش	6
17	الكسائي	5
18	ثعلب	4
19	هشام بن الكلبي	3
20	بندار	3
21	أبو عبيد	2
22	أبو عمرو بن العلاء	2
23	ابن حبيب	2
24	المازني	2
25	أبو مالك	1
26	أبو نصر	1
27	الرياشي	1
28	الكلابي	1
29	أبو حاتم	1
30	إسماعيل بن إسحاق	1
31	خالد بن كلثوم	1
32	الطوسي	1
33	عاصم	1
34	عُمارة	1
35	قُطرُب	1
36	مجاهد	1
37	محمد بن أبي عمرو الشيباني	1
38	المفضل	1
39	هشام بن معاوية	1

ونجد في شرحه أيضاً مجموعة من المآخذ والمصادر المبهمة غير المحددة التي عبر عنها أحياناً بـ "أكثر أهل اللغة" [xviii]، وحيناً بـ"بعض أهل اللغة"[xix]، أو "أهل اللغة"[xx]، أو "النحويون"[xxi]، أو "أهل النظر"[xxii]، أو "بعض النحويين"[xxiii]، أو "جماعة من الرواة"[xxiv]، أو "بعض المتقدمين"[xxv]، أو "البغداديون"[xxvi]، أو "أعرابي"[xxvii].

نظراً لأن شرح الخطيب كان ملخص الشروح السابقة له هما، ففي المصادر التي أشرنا هاهنا إليها نقطتان يجب الانتباه لها:

الأول: لا يدل ذكرُ الخطيب هذه المصادر على أنه نفسه أخذ منها وراجعها أو سمع من أولئك العلماء.

الثاني: لقد حاول الخطيب أن يكون موضوعياً في طرحه للآراء النحوية واللغوية التي عالجها في الشواهد وحاول قدر الإمكان أن يظهر حيادية في الآراء وما هو ثابت أن الخطيب لم يصرّح على الإطلاق بالمذهب النحوي الذي نزعم أنه مال إليه ولم يرد بشكل مباشر ما يمكّن المتصفح لشرحه من تحديد مذهبه النحوي. ولكن نظرة فاحصة في معالجاته النحوية للقضايا النحوية تُظهر ميولاً بصرية عند هذا الرجل وتبيّن أنه كان أقرب إلى البصرة منه إلى الكوفة. لعل اهتمامه ببعض العلماء ورواياتهم وآرائهم في اللغة والنحو يدل على مذهبه النحوي واللغوي، كما نلاحظ أنه أشار إلى العلماء كـ «الأصمعي» و«أبي عبيدة» و«سيبوية» و «المبرد» أكثر من غيرهم وهؤلاء كلهم من رواد المذهب البصري وأصحابه، وإن لم يمنعه هذا الميل عن الأخذ عن سائر العلماء كأحمد بن عبيد أبي جعفر ـ وهو كوفي المذهب ـ الذي كان ابن الأنباري جعله في صدر مآخذه، كما أن شيوخه كلهم من أصحاب المذهب البصري. وأيّد ما نذهب إليه من أن الخطيب كان راغباً في النزعة البصرية أكثر من ميله إلى غيرها قباوة في بحثه عن منهج شروح الخطيب وذكر أن "من مظاهر هذا الميل إلى البصرة ما نجده لدى التبريزي من نقد لأقوال الكوفيين وترجيح لمذهب البصريين عليها، فهو يتابع نقد ابن السكيت في وزن «ضَهْيَأ» فيقول: «وزعم أبو إسحاق أن وزنه: فَعْيَل، والكلام في هذا يطول، والحِجاج له يتسع، والذي يُقرّب عليك أن تعرف أن مذهب سيبويه ـ وهو الصحيح ـ قولُ العرب: ضَهْياء، ممدود، في معنى: ضَهيأ، مقصور. وجمعه ضُهيً، مثل: أحمر [حمراء] وحُمْر، والياء في الممدود أصلية، والهمزة التي كانت في المقصور محذوفة، وهذه الهمزة التي في الممدود هي منقلبة من ألف التأنيث، ولو كانت الياء زائدة والهمزة أصلية لكانت «فعلاء» منها «ضهآء» على وزن: ضهعاء" (قباوة 26).

والأمر الغريب في مصادر الخطيب هو أنه ذكر «ابن الأنباري» أحد عشر مرّةً، و«النحاس» سبع مرات مع أنه أخذ منهما كثيراً لا يعدّ ولا يُحصى. ولم يذكر أيضاً المصادر التي أشار إليها ابن الأنباري أو النحاس في شرحيهما مع أن الخطيب أخذ عنهما، وهذا الذي كان ضرورياً في بعض الأحيان كقوله في شرح البيت الرابع لطرفه، قال: "[أحمد بن عبيد]: عدولية: منسوبة إلى جزيرة من جزائر البحر يقال لها: عدولي، أسفل من أوالٍ وأوالٌ أسفل من عُمان، وقال غيره: العدولية منسوب إلى قومٍ كانوا ينزلون بهَجَر" (84). وفي بداية شرحه لم يذكر اسم «أحمد بن عبيد» وكانت إشارته إليه ضرورية إذ لم يتضح قوله «وقال غيره» بعد ذلك.

ولكننا لا نشكّ في صداقة الخطيب وأمانته العلمية، بل نحسن الظنّ ونقول: إن شرحه كان ملخص الشروح السابقة وحذف كثيراً من هذه المصادر والمآخذ مراعياً جانب الاختصار والإيجاز وكأنه اهتم بالشرح المفيد الصحيح وما قيل فيه ولم يهمه من قاله.

4ـ الشواهد في شرح الخطيب التبريزي على المعلقات:

لم يستثن الخطيب بين شراح المعلقات في استشهاده بالشواهد المختلفة من *القرآن الكريم* والشعر العربي والحديث الشريف والأمثال في شرحه المعلقات، إلا أن كمية هذه الشواهد تختلف عن شارح إلى آخر.

4- 1- القرآن الكريم

إذا كان *القرآن* في غاية البلاغة والفصاحة في اللغة فلا غرو أن شارحاً كالخطيب ستشهد بآياته الكريمة لشرح الألفاظ الصعبة والمفردات المشكلةِ، أمّا مواضع استشهاد الخطيب بالآيات القرآنية فكانت لأغراض تالية:

- شرح مفردة: إليك نماذج منها:

- لفظة «الوَبيل» في شرح البيت الـ88 لطرفة:

فَمَرَّت كَهاةٌ ذاتُ خَيفٍ جُلالَةٌ عَقيلَةُ شَيخٍ كَالوَبيلِ يَلَندَدِ

قال: "الوبيل: العصا، وقيل: هي خشبة القصّارين، وكلّ ثقيلٍ وبيلٌ ومنه قوله عز وجلّ: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا﴾[xxviii] " [xxix].

- لفظة «مُغْرَمٌ» في البيت الثامن عشر للأعشى:

فَكُلّنا مُغرَمٌ يَهذي بِصاحِبِهِ ناءٍ وَدانٍ وَمَحبولٌ وَمُختَبَلُ

قال: "المُغْرَم: المولَع، والغَرام: الهلاك، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [xxx] [xxxi]".

- لفظة «يُسِرّون» في البيت الـ24 لامرئ القيس، مشيراً إلى كون الكلمة من الأضداد:

تَجاوَزتُ أحراساً إلَيها وَمَعشَراً عَلَيَّ حِراساً لَو يُسِرّونَ مَقتَلي

"وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ [xxxii] إن معناه: أظهروا، وقيل: كتموها ممن أمروه بالكفر، وأما يُشرّون فمعناه: يُظهرون لا غيرُ" [xxxiii].

لفظة «المنون» و«مفند» في البيت العشرين للأعشى:

أأن رَأت رَجُلاً أعشى أضَرَّ بِهِ رَيبُ المَنونِ وَدَهرٌ مُفنِدٌ خَبِلُ

قال: "والمنون: المنية، سميت منوناً لأنها تنقُصُ الأشياء، وقيل في قول الله جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [xxxiv]، معناه: غير منقوص، ... و«المفند» من الفَنَد، وهو الفَساد، ويقال: فنَّدَه إذا سفّهه، ومنه: ﴿لَوْلاَ أن تُفَنِّدُونِ﴾ [xxxv] " [xxxvi] " .

- بيان قضية نحوية: استشهد بالآية عندما أراد أن يُثبت صحة قاعدة نحوية، كقوله في شرح البيت الثاني للأعشى:

غَرّاءُ فَرعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها تَمشي الهُوَينى كَما يَمشي الوَجِي الوَجِلُ

وأراد أن قوله «مصقول» مذكر أسند إلى «عوارض» وهي نائب الفاعل ومؤنث، لأنه إذا تأخر عن المسند إليه جاز اعتباره مؤنثاً أو مذكراً، واستشهد بقوله تعالى قائلاً: "مصقول على معنى الجميع، كما قرئ: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ﴾ [xxxvii] "[xxxviii]"، وقصده أن الفعل أسند إلى مذكر مع أن الفاعل نساء، باعتبار الجمع لا الجماعة.

أو قوله في عبارة «لو يسرّون مقتلي» في البيت الـ24 لامرئ القيس، موضحاً شباهة «أن» بـ«لو»، قال: "وأن تضارع لو في مثل هذا الموضع، يقال: وددتُ أن يقوم عبد الله، ووددتُ لو قام عبد الله، إلا أن «لو» يرتفع المستقبل بعدها و«أن» تنصب الفعل المستقبل. قال الله تعالى: ﴿أيَوَدُّ أحَدُكُمْ أن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأعْنَابٍ﴾ [xxxix]، فجاء بـ «أن» وقال في موضع آخر: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[xl] والمعنى: ودّوا أن تدهن فيُدهنوا" (48).

أو استشهد بالآية لشرح معنى حرفٍ، كقوله في شرح البيت الـ31 لزهير:

فَتَعرُكُكُمُ عَرْكَ الرَّحى بِثِفالِها وَتَلقَحْ كِشافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتئِمِ

قال مشيراً إلى معنى حرف الباء في «بثفالها»: "وأراد: عرك الرحى ومعها ثفالها، أي عرك الرحى طاحنة قال الله عز وجلّ: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[xli]، المعنى: ومعها الدهن، كما تقول: جاء فلان بالسيف أي: ومعه السيف"[xlii].

ـ توضيح مسألة صرفية: وذلك كقوله في شرح البيت الـ 38 لمعلقة عنترة:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدامَةِ بَعدَما رَكَدَ الهَواجِرُ بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ

مشيراً إلى أصل لفظة «المشوف»: "والمشوف أصله «المشوُوْفُ» ثم ألقيت حركةُ الواو على الشين فبقيت الواو ساكنةً وبعدها واو ساكنة فحذفت الواو لالتقاء الساكنين والمحذوفة عند سيبويه الثانية لأنها زائدة وعند الأخفش الأولى"[xliii].

وغير بعض إشاراته إلى المسائل الصرفية فهناك بعض التوضيحات فيما يتعلق بكتابة الحروف وذلك كشرحه مسألة تشبيه ثبات الياء بثبات الألف في قول الشاعر «ألا انجلي» في البيت الـ46 لامرئ القيس:

ألا أيُّها اللَيلُ الطَويلُ ألا انجَلي بِصُبحٍ وَما الإصباحُ فيكَ بِأمثَلِ

قال: "«ألا انجلي» في موضع السكون، وشبّهوا ثبات الياء بثبات الألف، في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى﴾[xliv]" [xlv]".

ـ شرح نكتة بلاغية: استشهد بالآية لبيان قضية «الالتفات» في البيت السادس لعنترة:

حَلَّت بِأرضِ الزائِرينَ فَأصبَحَت عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَخرَمِ

"فإن قيل: كيف قال: «حلت بأرض الزائرين» فذكر غائبة ثم قال: «طلابكِ» فخاطب؟ قيل له: العرب ترجع من الغيبة إلى الخِطاب، كقوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء﴾ [xlvi]، ومن الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿حتَّى إذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[xlvii] "[xlviii].

ـ توضيح عادات العرب اللغوية وآدابهم: كقوله في شرحه العادة اللغوية للعرب مشيراً إلى الأقوال المختلفة في قول امرئ القيس«قفا» في البيت الأول من معلقته:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَّخولِ فَحَومَلِ

وأن ذلك من عادة العرب في مخاطبتهم الواحد مخاطبة الاثنين، قال الله تبارك وتعالى مخاطباً لمالك: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾[xlix]" [l].

ومن استشهاده بالآية القرآنية لشرح آداب العرب أنه استشهد بالآيتين مبيّناً ما كانت تقوم به المرأة من آداب في وفاة زوجه، في شرح عبارة «إذا تطاول عامها» في البيت الـ88 للبيد:

وَهُمُ رَبيعٌ لِلمُجاوِرِ فيهِمُ وَالمُرمِلاتِ إذا تَطاوَلَ عامُها

إذ أن "المرأة كانت إذا توفّي عنها زوجُها أقامت عاماً ونزل بذلك *القرآنُ* في أول شيء، قال الله عز وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[li]، ثم نُسخ هذا بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[lii]" [liii].

ـ <u>تأكيد المعنى</u>: وذلك في شرحه البيت الـ73 لطرفة:

وَإن أَدعَ في الجُلّى أكُن مِن حُماتِها وَإن يَأتِكَ الأعداءُ بِالجَهدِ أجهَدِ

موضحاً معنى «جلل» قائلاً: "ويجوز أن يكون جَلَلٌ لما جاوَز في العِظم والصغر، وقالوا في قول الله عز وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [liv] أي: ما فوقها في الصغر" [lv] ، وهو ببيانه هذا أشار إلى جواز استعمال أسلوب في العربية مبيناً معناه، وكذلك الأمر في شرحه البيت الـ35 لطرفة، عندما قال في شرحه لفظة «ململم» في البيت التالي:

وَأروَعُ نَبّاضٌ أحَذُّ مُلَملَمٌ كَمِرداةِ صَخرٍ في صَفيحٍ مُصَمَّدِ

مستطرداً إلى الاستشهاد بالآية القرآنية: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ [lvi]، قال: "وليس في الكلام دليل على أنه أباح اللمم، لأنه استثناء ليس من الأول، وهو مثل قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [lvii]، فليس فيه دليل على أنه أباح ما سَلَفَ، وإنما المعنى: ولكن ما قد سَلَفَ فإن الله يعفو عنه، وكذلك قوله عز وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً﴾ [lviii]، أي: ولكن إنْ قَتَلَه خطأً فعليه ما أمر به " [lix] .

وقد لاحظت على منهجه في الاستشهاد *بالقرآن الكريم* ما يلي:

ـ مع أن الخطيب قد تأثر بالشراح القدماء قبله في شرحه للمعلقات ومع نظره إلى شرح النحاس الذي كان يهتم بالقراءات وكان له موقفه الخاص منها ولكن الخطيب لم يولِ اهتمامه بالقراءات المختلفة ولعل مردّ ذلك أن الخطيب لم يكن قارئاً كنظيره النحاس ولعله لم يُرد أن يجعل شرحه للمعلقات مجالاً لهذه القراءات، وإنما ارتضى باستشهاده بالآيات القرآنية لبيان المقصود من شرح لفظة أو مسألة نحوية.

ـ عدد الآيات الكريمة المستشهد بها في شرح الخطيب 87 آية، وفي الجدول التالي صورة واضحة للآيات المستشهد بها في شرح كل قصيدة ونسبتها المئوية:

الجدول رقم 6-4ـ عدد الآيات المستشهد بها في شرح كل معلقة

المعلقة	عدد الآيات	النسبة المئوية
امرؤالقيس	12	%13 /79
طرفة	17	%19 /54
زهير	12	%13 /79
لبيد	12	%13 /79
عنترة	17	%19 /54
عمرو	4	%4 /59
الحارث	7	%8 /04
الأعشى	4	%4 /59
النابغة	2	%2/29
المجموع (9 معلقات)	87	%100

ـ واضح أن الخطيب لم يستشهد بآية قرآنية في شرحه معلقة عبيد بن الأبرص أبداً.

ـ استشهد الخطيب بالآيات الكريمة لأغراض مختلفة والجدول التالي يوضح الخلاف في عدد الآيات المستشهد بها في الأغراض المختلفة:

الجدول رقم 6-5- أغراض الاستشهاد بالآيات القرآنية وعددها ونسبتها المئوية

غرض الاستشهاد بالآيات	عدد الآيات	النسبة المئوية
شرح الألفاظ الصعبة	38	%43/67
بيان قضية نحوية	34	%39 /08
توضيح مسئلة صرفية	5	%5 /74
تأكيد المعنى	4	%4 /59
توضيح عادات العرب	3	%3 /44
شرح نكتة بلاغية	3	%3 /44
المجموع (6 أغراض)	87	%100

يبدو من الجدول أن الخطيب التبريزي قد خصّص أكثر الشواهد القرآنية لشرح اللغة والنحو، وهذا يدلنا على السمة البارزة لشرحه إذ هي الاهتمام باللغة والنحو، كما أنه تبين لنا في شرح النحاس وابن الأنباري الذينِ قد تأثر بهما الخطيب في شرحه هذا.

ـ بدأ استشهاده بالآيات بقوله: "قال الله تبارك وتعالى"، و"قال الله عز وجلّ"، و"قوله تعالى"، و"قال الله تعالى"، و"قوله عز وجلّ"، و"قوله"، و"قال جلّ وعزّ"، و"قال تعالى"، و"يُقرأ"، و"ومنه"، و"قُرئ".

4- 2- الحديث النبوي الشريف

استشهاد الخطيب بالحديث النبوي الشريف في ثمانية مواضع وكلها في شرح المفردات والألفاظ الصعبة، وبدأ استشهاده بالحديث بقوله: "في الحديث"، و"أما الحديث"، و"يُروى"، و"جاء في الحديث".

إليك نماذج من استشهاده بالحديث:

قال في شرح البيت الـ26 للحارث:

مُكفَهِرّاً عَلى الحَوادِثِ لا تَر توهُ لِلدَّهرِ مُؤيِدٌ صَمّاءُ

قال موضحاً لفظة «لاترتوه»: "لاترتوه: لا تنقصه، ويقال: رتوتُ الثوبَ إذا نقصتَ منه، ورتوتُ الدرعَ إذا علّقْتَها بالعُرَى لتُشمّرَ منها، ويكون ذلك أمكن في الحرب وأما الحديث: «عليكم بالحساء فإنه يرتو فؤاد الحزين» [lx]، فمعناه: يشدُّه" [lxi].

وقال أيضاً في شرح البيت الـ72 للبيد:

أنكَرتُ باطِلَها وَبُؤتُ بِحَقِّها يوماً وَلَم يَفخَر عَلَيَّ كِرامُها

"ويُروى: «وبُؤتُ بحقّها عندي» ومعناه: انصرفتُ به، جاء في الحديث: «باء طلحةُ بالجنّة»[lxii]، أي: انصرف بها" [lxiii].

ISSN: 2394-4862

4- 3- الشعر العربي

أما الشواهد الشعرية في شرح الخطيب فكانت للأغراض التالية:

- شرح مفردة: الخطيب شارح بارع وعندما ندقق في مؤلفاته الأخرى نلاحظ أنه كانت له يد طولى في شرح الغريب والألفاظ الصعبة كما أنه شرح *الحماسة* لأبي تمام، *وسقط الزند* لأبي العلاء وهو عالم بالمصطلحات الغريبة في اللغة وأسرارها. وفي شرحه المعلقات العشر أيضاً شرح المفردات التي احتاجت إلى التوضيح والشرح مستشهداً بالأبيات الشعرية، إليك نماذج من استشهاده بالشعر لشرح المفردات:

استشهد بعدة أبيات في توضيحه اللغات المختلفة للفظة «الشّمال» في البيت الثاني لامرئ القيس: «لما نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ» قال: "وفي الشمال لغات، يقال: شَمالٌ، وشَمألٌ، شَأمَلٌ وشَمْلٌ وشَمَلٌ وشَمُولٌ، قال الشاعر في الشأمل:

وَهَبّتِ الشّآمِلُ البَليلُ وإذْ باتَ كَميعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعا

وقال آخر في الشَمْلِ، بإسكان الميم:

أتَى أبَدٌ مِن دونِ حِدثانِ عَهدِها وجَرَّتْ عليها كُلُّ نافِجَةٍ شَمْلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة في الشمَلِ، بفتح الميم:

ألم تَرْبَعْ عَلَى الطَّلَلِ ومَغْنَى الحيّ كَالخِلَلِ

تُعَفّي رَسمَه الأروا حُ مَرُّ صَبًا مَعَ الشَّمَلِ؟

وقال ابن ميّادة في الشُّمول:

ومَنْزِلَةٍ أخرَى تَقادَمَ عَهدُها وقيعانِها كأنّه حَبُّ فُلْفُلِ" [lxiv]

واستشهد بالشعر حيناً آخر لشرح الألفاظ التي وردت في رواية أخرى للبيت، كما قال في شرح البيت التسعين لطرفة في شرح لفظة «المتعَيّد»:

وقالَ: ألا ماذا تَرونَ بشارِبٍ شَديدٍ علينا بَغْيُه مُتَعَمِّدِ

قال: "ويُروى: «سُخطُه مُتَعَيِّدٍ»، المتعيّد: الظّلوم، قال الشاعر:

يَرَى المُتَعَيِّدونَ علَيَّ دوني أَسودَ خَفيّةَ الغُلْبَ الرِّقابا[6]" [lxv]

ـ بيان قضية نحوية: إذا كان شرح الخطيب متأثراً بشرح النحاس ذي نزعة نحوية فلا بدّ أن الخطيب أيضاً اهتم بالنحو وقضاياه في شرحه، واستشهد بالشعر في شرح مسائل نحوية، من استشهاده به للنحو:

قال في شرح البيت الـ22 للحارث:

لا تَخَلْنا على غَراتِكَ إنّا قَبْلُ ما قد وَشى بنا الأعداءُ

قال في توضيح «ما» في «طالما» في رواية من روى الشطر الثاني للبيت «طالما قد وشَى بنا الأعداءُ»: "وما هذه كافة قد يقع بعدها الفعل والفاعل، وإن اضطرّ شاعر جاز له أن يأتي بعدها بابتداء وخبر، كما تقول في «قلّما»، وأنشد سيبويه:

صَدَدْتِ فأطوَلتِ الصُّدودَ وقلّما وِصالٌ على طُولِ الصُّدودِ يَدُومُ

وكان يجب على قول سيبويه أن يقول: وقلما يدوم وصال" [lxvi].

ـ تأكيد المعنى: وذلك أن ذكر الخطيب معنى واستشهد بالشعر لتأكيدها، مثلاً قال في شرح البيت الـ29 لعنترة:

وكأنّما تَنأى بِجانِبِ دَفِّها الـ ـوَحْشيِّ مِن هَزِجِ العَشيّ مُؤَوَّمِ

قال موضّحاً معنى البيت: "وقالوا إنما جعله بالعشيّ لأنه ساعة الفتُور والإعياء، فأراد أنها أنشط ما تكون في ذلك الوقت الذي تفتر فيه الإبل فكأنها من نشاطها يخدشها هرٌّ تحت جنبها، وقيل: أراد أن السّوط بيمينه فهي تميل على ميامنها مخافة السوط، كما قال الأعشى:

تَرَى عَيْنَها ضَغواءَ في جنبِ مأقِها تُراقِبُ كَفّي والقَطيعَ المُحَرَّمَا[9]" [lxvii]

ـ توضيح حادثة تاريخية: قال في شرح البيت الـ49 للحارث، مشيراً إلى حادثة محاربة كسرى لإياد، وذكر أن لقيط بن يعمر الإيادي الذي كان ينزل الحيرة عندما اطلع على ما قصده كسرى كتب إلى إياد وهو كانوا بالجزيرة ليستعدوا قواهم في مقابلة العدو، وأبيات لقيط هي:

سَلامٌ في الصَّحيفَةِ مِن لَقيطٍ إلى مَن بِالجَزيرَةِ مِن إيادِ

بِأنَّ اللَّيثَ كِسرى قَد أتاكُم فَلا يَشغَلكُمُ سوقُ النِّقادِ

أتاكُم مِنهُمُ سِتّونَ ألفاً يَزُجّونَ الكَتائِبَ كَالجَرادِ

عَلى حَنَقٍ أتَينَكُمُ فَهَذا أوانُ هَلاكِكُم كَهَلاكِ عاد

"فلما بلغ كتاب لقيط إياداً استعدّوا لمحاربة الجنود التي بعث بهم كسرى، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى رجعت الخيلُ وقد أصيب من الفريقين، ثم إنهم بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم وتفرّقت جماعتهم فلحقت طائفة مهم بالشام، وأقام الباقون بالجزيرة" [lxviii].

ـ شرح مسألة صرفية: قلّما اهتمّ بالقضايا الصرفية والصوتية واستشهد لشرحه بالشعر، منها أنه قال في شرح البيت الـ28 لزهير:

يُؤَخَّرْ فَيوضَعْ في كِتابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَومِ الحِسابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنقَمِ

قال موضحاً الإشمام: "وأجاز سيبويه إسكان الفعل للشاعر إذا اضطرّ يردّه إلى أصله، فيجوز على مذهب سيبويه أن يكون قوله «يُؤخّر» مردوداً إلى أصل الأفعال، يعني أنه مرفوعٌ، إلا أنه سكّن الراء من «يُؤخّر» تشبيهاً بقوله:

فاليَوْمَ أشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ

يريد: [أشربُ] غيرَ مسْتَحْقبٍ، فسكّن الباء وهذا الإسكان إنما هو إشمام لا سكون خالص ولا ضمٌّ خالص" [lxix].

ـ شرح عادات العرب اللغوية وآدابهم: من عادات العرب اللغوية أنهم كانوا يخاطبون الواحد مخاطبة الاثنين ... وأشار الخطيب إلى هذه العادة في شرحه الأقوال الثلاث في قول امرئ القيس «قفا» في البيت الأول له، قال: "و قال الشاعر:

فإن تَزْجُراني يابْنَ عفّانَ أنْزَجِر وإنْ تَدَعاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا

وقال آخر:

فقُلْتُ لصاحبي: لا تَحْبِسانا بِنَزْعِ أصوُلِه واجتَزَّ شيحا

والعلة في هذا أن أعوان الرجل في إبله وماله اثنان، وأقلّ الرفقة ثلاثة" [lxx] .

ـ الإشارة إلى أسماء الأعلام وشرحها: وذلك في ثلاثة مواضع من شرحه، منها أنه قال في شرح البيت الأول للأعشى عند ذكر اسم «هريرة» أشار إلى «خُليد»: "قال أبو عبيدة: هريرة قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة بن عمرو بن مرثد فولدت له خُليداً وقد قال في قصيدته:

جهلاً بأمِّ خُلَيْدٍ حَبْلَ منْ تَصِلُ"[lxxi]

وقال أيضاً في شرح البيت التاسع عشر لامرئ القيس في توضيح «فاطمة» قال: "قال ابن الكلبي: فاطمة هي ابنة عُبيد بن ثعلبة بن عامر، قال: وعامر هو الأجدار بن عوف [بن كنانة بن عوف] بن عُذْرَة، قال: ولها يقول:

لا وأبيكِ ابنَةَ العامِرِ يّ لا يَدَّعي القومُ أنّي أفِرْ

وإنما سمّي الأجدار لجدرة كانت في عنقه" [lxxii].

هناك ملاحظات في استشهاد الخطيب بالشعر:

ـ الجدول التالي يُظهر عدد الأبيات المستشهد بها في شرح كلّ قصيدة:

الجدول رقم 6-6ـ عدد الأبيات المستشهد بها في شرح كل معلقة

المعلقة	عدد الأبيات	النسبة المئوية
امرؤالقيس	31	%37 /34
طرفة	12	%14 /45
زهير	8	%9 /63
لبيد	9	%10 /84
عنترة	7	%8 /43
عمرو	3	%3 /61
الحارث	7	%8 /43
الأعشى	2	%2 /40
النابغة	1	%1 /20
عبيد	3	%3 /61
المجموع (10 معلقات)	83	%100

القصيدة التي اختص بها أكثر الأبيات بشرحها هي قصيدة امرئ القيس إذ استشهد الخطيب بـ 31 بيتاً في شرحه، في حين أن الأبيات المستشهد ها في شرح معلقة النابغة أقل من سائر أخواتها وهي بيت واحد فقط.

ـ الجدول التالي يوضح عدد الأبيات المستشهد بها في كلّ من الأغراض التي أشرنا إليها سابقًا:

الجدول رقم 6-7ـ أغراض الاستشهاد بالأبيات وعددها ونسبتها المئوية

غرض الاستشهاد بالأبيات	عدد الأبيات	النسبة المئوية
شرح الألفاظ الصعبة	26	%31 /32
بيان قضية نحوية	26	%31 /32
تأكيد المعنى	12	%14/45
شرح الحادثة التاريخية	7	%8 /43

توضيح مسئلة صرفية	5	%6 /02
توضيح عادات العرب اللغوية	4	%4 /81
توضيح اسم العلم	3	%3/61
المجموع (7 أغراض)	83	%100

يبدو من الجدول أن أكثر الأبيات المستشهد بها في شرح الألفاظ الصعبة وتوضيح النحو وقضاياه، والأمر العجيب أن عدد الأبيات المستشهد بها في هذين الغرضين متساوٍ وهو 26 بيتاً، ونظراً إلى تساوي تعداد الأبيات الشواهد في اللغة والنحو، وإلى أن الاختلاف بين عدد الأبيات الشواهد في النحو واللغة وبين سائر الأغراض عدد يلفت الانتباه يمكننا القول بأن شرح الخطيب ذو منحى لغوي ونحوي.

ـ عدد الأبيات المستشهد بها في شرح الخطيب 83 بيتاً، ومع أن تعداد الأبيات المستشهد بها في شرحه أقل من تعداد الآيات (87) آية، ولكن الاختلاف بينهما ليس كثيراً مما يلفت الانتباه.

ـ لم يهتم الخطيب اهتماماً بالغاً لقائلي الأبيات المستشهد بها في شرحه، ومع أن بعض الأبيات للشعراء الأعلام وحتى مع أن الشراح السابقين أشاروا إلى القائل والشاعر ولكنه لم يذكر اسم الشاعر للبيت المستشهد به.

ISSN: 2394-4862

ولكن هذا لا يعني أنه لم يذكر اسم الشاعر في كلّ شواهده، بل أشار إلى أسماء الشعراء ومن بينها أسماء الشعراء الجاهليين كـ «الأعشى»[lxxiii] ، و«امرئ القيس»[lxxiv] ، و«زهير»[lxxv] ، و«الأسود بن يعفر»[lxxvi]، و«لقيط بن يعمر»[lxxvii]، و«أوس بن حجر»[lxxviii]، و«طرفة»[lxxix] ، و«عنترة»[lxxx]، و«عبيد»[lxxxi].

وأسماء المخضرمين كـ «القطامي»[lxxxii] ، و«الحطيئة»[lxxxiii].

وأسماء الإسلاميين كـ «الأخطل»[lxxxiv]، و«العجاج»[lxxxv] ، و«عمر بن أبي ربيعة»[lxxxvi]، و«ذو الرمة»[lxxxvii].

ـ كانت غالبية الشعراء أصحاب الشواهد تنتمي إلى العصر الجاهلي. والشاعر الذي له قصب العود في تعداد ذكر اسمه في شرح الخطيب شاعران هما: امرؤ القيس، والأعشى، واستشهد الخطيب بشعرهما ثلاث مرات.

ـ قد ذكر في الغالب البيتَ كاملاً واكتفى في بعض الأحيان (13 موضعاً) بذكر شطرٍ واحدٍ منه، كشرحه البيت الـ44 لعمرو، في بيان مسألة نحوية:

وأما يَومَ لا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فنُصْبِحُ في مَجالِسِنا ثُبينا

قال: "وغارة منصوب على المصدر، لأن معنى «نمعن» ونغير واحد، ويجوز أن يكون المعنى: وقت الغارة، ثم حذف وقتاً وأعرب غارة بإعرابه، كما قال:

تَبْكي عليْكَ نُجومَ اللّيلِ والقَمَرا

معناه: وقت نجوم الليل والقمر" [lxxxviii] .

4- 4- الأمثال العربية

لم يستشهد الخطيب التبريزي بالأمثال العربية إلا في موضعين من شرحه:

الأول: في شرح البيت الخمسين لامرئ القيس:

وَوادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قفرٍ قَطَعْتُه بِهِ الذِّئبُ يَعْوي كَالخَليعِ المُعَيَّلِ

واستشهاده هذا كان في شرح عبارة «جوف العير»، مشيراً إلى القولين اللذينِ وردا في شرحه، قال: "فيه قولان: أحدهما: أن جوف العير لا ينتفع منه بشيء، يعني العير الوحشيّ، والقول الآخر: أن العير هنا رجل من العمالقة، كان له بنون ووادٍ خصيب، وكان حسن الطريقة فسافر بنوه في بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله وقال: لا أعبد رباً أحرق بنيَّ وأخذ في عبادة الأصنام، فسلط الله على واديه ناراً ـ والوادي بلغة أهل اليمن يقال له: الجَوف ـ، فأحرقته فما بقي منه شيء وهو يضرب به المثل في كلّ ما لا بقية فيه" [lxxxix] . والمثل في *مجمع الأمثال* هو: أخلى من جوف الحمار، أو أخلى من جوف العَير [xc].

والثاني: في شرح البيت الـ33 لطرفة:

وَصادِقَتا سَمعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرى لِهَجسٍ خَفِيٍّ أو لِصَوتٍ مُنَدَّدِ

في شرح لفظة «السرى» واستطرد إلى اللغات في هذه اللفظة واستشهد بهذا المثل قائلا: "من قولهم: «خير المال عينٌ ساهرة لعينٍ نائمة» [xci] أي لا تنام وإن نمتَ عنها" [xcii].

ويُلاحظ أن كلا الاستشهادين بالمثل في شرح الخطيب لشرح الألفاظ والمفردات ولا غير.

وهناك ملاحظات في شرح الخطيب التبريزي يجدر الانتباه بها:

ـ مع أن الخطيب التبريزي كثيراً ما أخذ من الشروح قبله كشروح الشيباني، ابن الأنباري والنحاس ولكنه راعى جانب الاختصار والإيجاز في كثير من المواضع من شرحه ولعله رآه موجباً لإطالة الكلام في شرح المعلقات ولهذا حذفه من شرحه. وظهر اهتمامه بهذا الأسلوب في عدة مظاهر:

أولا: إنه لم يهتم بالقضايا الصرفية والصوتية التي أشار الشراح وخاصة ابن الأنباري والنحاس إليها في شرحهم كالإبدال، والإدغام، والإعلال وتخفيف الألفاظ.

ثانياً: لم يشرح المصطلحات التي ذكرها الشارحان قبله كـ «التغليب» الذي ذكره الشراح السابقون عليه كابن الأنباري والنحاس في شرح البيت الـ 62 للحارث في لفظة «الأسودين»:

فَهَداهُم بالأسودَيْنِ وأمْرُ الـ ـلّهِ بَلْغٌ يَشْقَى بِه الأشْقياءُ [xciii]

أو «التضمين» في البيت الـ54 للبيد[xciv].

ثالثاً: لم يشرح الخطيب بعض الأبيات التي نراها أن الشارحين قبله قد شرحاها، وبعض هذه الأبيات في الصفحات التالية من شرحه: 254، 282، 283، 288، 308، 370، 373.

ولعل الخطيب لم يَرَ في هذه الأبيات شيئاً يُذكر أو لفظة صعبة احتاجت إلى الشرح والتفسير، بيد أننا لا نسجل ذلك مأخذاً عليه، فالخطيب أدرى بما كان يحتاج إلى الشرح والتوضيح في إطار المستوى اللغوي السائد في زمانه وبالقياس إلى مستوى من يتوقع منهم قراءة شرحه من اللغويين والأدباء والمتأدبين، وفي ضوء هذا التصور نفسه يمكن أن نبرّر إتيانه ببعض المفردات في شرح الأبيات وهي نفسها المفردات التي قد نرى نحن أنها بحاجة إلى الشرح مثل مفردة «قُذَذ» في شرحه البيت التاسع عشر لعبيد بن الأبرص:

بِالله يُدْرَكُ كُلُّ خَيْرٍ والقولُ في بعضِهِ تَلْغيبُ

قال: "تلغيب أي ضعفٌ، من قولهم: سهمٌ لَغْبٌ، إذا كانت قُذَذُه بُطناناً، وهو رديء ورجلٌ لَغْبٌ: ضعيف" [xcv]، و«القُذَذ» جمع «القُذَّة» وهي ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركَّب في السهم والجمع الآخر لها «القِذّان» [xcvi] .

ـ نلاحظ بعض الهنوات الهينات من الخطيب في شرحه المعلقات، منها:

قال في شرح البيت الـ 75 للحارث:

ثُمَّ حُجراً أعني ابنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضراءُ

قال موضّحاً الإعراب في البيت: "حُجراً منصوب لأنه معطوف على الهاء والميم في قوله «فرددناهُم» وعطف الظاهر على المضمر المنصوب جيّدٌ، لأنه يتصل وينفصل، فصار المعنى: ثم رددنا حُجراً" [xcvii] .

وإذا نظرنا إلى رواية الخطيب نلاحظ أنه لم يَرو «فرددناهم» في البيت الـ73:

فَجَبَهناهُمُ بِضَربٍ كَما يَخرُجُ مِن خُربَةِ المَزادِ الماءُ

بل روى «فجبَهْناهُم» وتلك رواية النحاس في شرحه.

أو أخطأ في ذكره الضمير في شرحه، وذلك كقوله في شرح البيت الـ47 للحارث:

أم عَلَينا جَرّى العِبادُ كَما نيـ ـطَ بِجَوزِ المُحَمَّلِ الأعباءُ؟

قال: "فيقول: تريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء وتعلّقوه علينا كما عُلّق بوسط البعير الأثقال" [xcviii] . و أخذ قول ابن الأنباري وغيّر الضمير ولكن الصحيح هو الذي في شرح ابن الأنباري، لأن الضمير يعود إلى الذنوب ولابد أن يكون مفرداً مؤنثاً.

أو أشار في شرحه إلى الضرورة الشعرية التي أجبرت الشاعر إلى ذكر لفظة أو استعمال أسلوب خاص، في حين أنه لم تكن هناك ضرورة أصلاً، كقوله في شرح البيت العاشر لعبيد بن الأبرص:

أو جَدْوَلٌ في ظِلالِ نَخْلٍ لِلماءِ مِن تَحْتِهِ سكوبُ

قال: "الجدول: النهر الصغير، و«سُكوُب» أراد انسكاب، فلم تمّنه القافية" [xcix]، ولا ضرورة للشاعر في البيت لأن «سُكوُب» أيضاً مصدر.

الخاتمة والنتائج

من النتائج التي حصلنا عليه من خلال التطواف الذي قمنا به في شرح الخطيب التبريزي على المعلقات للحصول على مدى اهتمامه بالشواهد وكيفية تعامله معها في شرحه هي أن :

ـ الخطيب جمع بين دفّتي شرحه خلاصة مما كان في الشروح السابقة له من اللغة والنحو والتاريخ والبلاغة.

ولهذا الأمر أثر سلبي في شرحه إذ نراه لم يهتم بالمذهب النحوي لكل من الشراح قبله ويظهر بعض التناقضات في شرحه .

ـ أكثر استشهادات الخطيب هي في شرح الألفاظ الصعبة وتوضيح النحو وقضاياه .

ـ استشهاده كان بالشواهد المختلفة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والأمثال وكان لأغراض متعددة كشرح

المفردات، وبيان قضايا نحوية، وتوضيح مسألة صرفية، وشرح نكات بلاغية، وتوضيح عادات العرب اللغوية وآدابهم، وتأكيد المعنى .

ISSN: 2394-4862
مجلة اللغة
علمية . محكمة . مصنفة .

الهوامش:

[i] . ابن سلام الجمحي ، 24
[ii] . العطوي، 1425هـ، 6.
[iii] . يعقوب، ١٩٩٢م، 5.
[iv] . ابن خلكان، ، 6: 191.
[v] . الزركلي، 1969م، 7: 197.
[vi] . الحموي، 1980م، 20: 25.
[vii] . بروكلمان، 1974م، 1: 158.
[viii] . حاجي خليفه،د.ت، 5: 456.
[ix] . ابن الأثير، 1970م، 1: 5.
[x] . الزركلي، 1969م، 7: 197.
[xi] . قباوة، 1997م، 147.
[xii] . المصدر نفسه، 209.
[xiii] . المصدر السابق، 145.
[xiv] . بروكلمان، 1974م، 1: 100.
[xv] . المصدر نفسه ، 1: 89.
[xvi] . قباوة، 1997م، ، 147.
[xvii] . ابن خلكان 6: 191.
[xviii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 106، 136، 137، 172، 175.
[xix] . المصدر نفسه، 26، 146، 148، 180، 198، 255.
[xx] . المصدر السابق، 87، 164.
[xxi] . الخطيب التبريزي، 1997م، 74، 152.
[xxii] . المصدر نفسه، 118، 133، 135، 178، 223.
[xxiii] . المصدر السابق، 79، 146، 147، 207، 262.
[xxiv] . الخطيب التبريزي، 1997م، 155.
[xxv] . المصدر نفسه، 133.
[xxvi] . المصدر السابق، 171.

[xxvii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 254.
[xxviii] . المزمل73: 16.
[xxix] . الخطيب التبريزي، 1997م، 125.
[xxx] . الفرقان25: 65.
[xxxi] . الخطيب التبريزي، 1997م، 335.
[xxxii] . يونس 10: 54.
[xxxiii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 48.
[xxxiv] . فصلت41: 8.
[xxxv] . يوسف12: 94.
[xxxvi] . الخطيب التبريزي، 1997م، 336.
[xxxvii] . الأحزاب33: 52.
[xxxviii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 330.
[xxxix] . البقرة2: 266.
[xl] . القلم 68: 9.
[xli] . المؤمنون23: 20.
[xlii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 148.
[xliii] . المصدر نفسه، 229.
[xliv] . الأعلى87: 6.
[xlv] . الخطيب التبريزي، 1997م، 61.
[xlvi] . الإنسان76: 21، 22.
[xlvii] . يونس 10: 22.
[xlviii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 213.
[xlix] . ق 50: 24.
[l] . الخطيب التبريزي، 1997م، 23.
[li] . البقرة2: 240.
[lii] . البقرة2: 234.
[liii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 207.
[liv] . البقرة2: 26.
[lv] . الخطيب التبريزي، 1997م، 119.
[lvi] . النجم53: 32.
[lvii] . النساء4: 23.
[lviii] . النساء4: 92 .
[lix] . الخطيب التبريزي، 1997م، 101.
[lx] . ابن حجر، 1379ه، 10: 147.
[lxi] . الخطيب التبريزي، 1997م، 304.
[lxii] . الجزري، 1979م، 2: 462.
[lxiii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 200.
[lxiv] . الخطيب التبريزي، 1997م، 27.
[lxv] . المصدر نفسه 125.
[lxvi] . المصدر السابق، 301.
[lxvii] . الخطيب التبريزي، 1997م، 105.
[lxviii] . المصدر نفسه، 314.
[lxix] . المصدر السابق، 147.
[lxx] . الخطيب التبريزي، 1997م، 27.
[lxxi] . الخطيب التبريزي 329.
[lxxii] . الخطيب التبريزي 44.
[lxxiii] . الخطيب التبريزي ، 108، 225، 329.
[lxxiv] . المصدر نفسه، 56، 188، 327.
[lxxv] . المصدر السابق، 29، 31.
[lxxvi] . الخطيب التبريزي ،314.
[lxxvii] . المصدر نفسه.
[lxxviii] . المصدر السابق، 312.
[lxxix] . الخطيب التبريزي ،117.
[lxxx] . المصدر نفسه، 132.
[lxxxi] . المصدر السابق، 369.
[lxxxii] . الخطيب التبريزي ، 200.
[lxxxiii] . المصدر نفسه،211.
[lxxxiv] . المصدر السابق، 323.
[lxxxv] . الخطيب التبريزي ،175.
[lxxxvi] . المصدر نفسه،27، 75.

ISSN: 2394-4862 مجلة اللغة علمية. محكمة. مصنفة.

[lxxxvii] . المصدر السابق، 184.
[lxxxviii] . الخطيب التبريزي ، 271.
[lxxxix] . المصدر نفسه، 63.
[xc] . الميداني المثل 1364.
[xci] . الميداني المثل 1302.
[xcii] . الخطيب التبريزي ، 100.
[xciii] . المصدر نفسه، 319.
[xciv] . المصدر السابق، 191.
[xcv] . الخطيب التبريزي ، 373.
[xcvi] . ابن منظور «ق ذ ذ».
[xcvii] . الخطيب التبريزي ، 324.
[xcviii] . المصدر نفسه، 312.
[xcix] . المصدر السابق، 371.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد. ***جامع الأصول في أحاديث الرسول***. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. د.م: مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان. 1970م.
- ابن حجر، أحمد بن علي. ***فتح الباري***. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. ***لسان العرب***. 8ج. نسقه وعلق عليه علي شيري. بيروت: دار إحياء التراث. 1908هـ.
- الجزري، المبارك بن محمد. ***النهاية في غريب الحديث والأثر***. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي. بيروت: المكتبة العلمية. 1979م.
- شهاب الدين. ***معجم الأدباء***. ط3. بيروت: دار الفكر. 1980م.
- الحموي، ياقوت ***معجم البلدان***. 5ج. بيروت: دار صادر. د.ت.
- الخطيب التبريزي، يحيى بن علي. ***شرح المعلقات العشر***. تحقيق فخر الدين قباوة. دمشق: دار الفكر. 1997م.
- الزركلي، خير الدين. ***الأعلام: قاموس تراجم الأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين***. ط3. بيروت: دار الجيل، 1969م.
- بروكلمان. كارل. ***تاريخ الأدب العربي***. نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار. ط3. القاهرة: دار المعارف، 1974م.
- حاجي خليفه. مصطفى بن عبد الله. ***كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون***. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- حسين، طه. ***تجديد ذكرى أبي العلاء***. ط4. القاهرة: دار المعارف. 1951م.
- ذو الرمة. ديوان ذي الرمة. ***شرح الخطيب التبريزي***. كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه مجيد طراد. بيروت: دار الكتاب العربي. 1992م.
- قباوة، فخر الدين. ***منهج التبريزي في شروحه و القيمة التاريخية للمفضليات***. ط2. بيروت ـ دمشق: دار الفكر المعاصر ـ دار الفكر، 1997م.
- قجة، محمد. «***بين المعري والخطيب التبريزي***.» المعرفة. 529 (تشرين الدول 2007م): 18 - 35.
- يعقوب، إميل بديع. ***المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية***. بيروت: دار الكتب العلمية. 1992م.

List of sources and references

• **Al-Qurʾān al-Karīm**

• **Ibn al-Athīr**, Majd al-Dīn al-Mubārak b. Muḥammad. *Jāmiʿ al-Uṣūl fī Aḥādīth al-Rasūl*. Edited by ʿAbd al-Qādir al-Arnāʾūṭ. n.p.: Maktabat al-Ḥalwānī – Maṭbaʿat al-Mallāḥ – Maktabat Dār al-Bayān, 1970.

• **Ibn Ḥajar**, Aḥmad b. ʿAlī. *Fatḥ al-Bārī*. Beirut: Dār al-Maʿrifa, 1379 AH.

• **Ibn Manẓūr**, Muḥammad b. Mukarram. *Lisān al-ʿArab*. 8 vols. Edited and annotated by ʿAlī Shīrī. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth, 1908 AH.

• **Al-Jazarī**, al-Mubārak b. Muḥammad. *Al-Nihāya fī Gharīb al-Ḥadīth wa-al-Athar*. Edited by Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī and Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanājī. Beirut: al-Maktaba al-ʿIlmiyya, 1979.

• **Shihāb al-Dīn.** *Muʿjam al-Udabāʾ*. 3rd ed. Beirut: Dār al-Fikr, 1980.

• **Al-Ḥamawī, Yāqūt.** *Muʿjam al-Buldān*. 5 vols. Beirut: Dār Ṣādir, n.d.

• **Al-Khaṭīb al-Tabrīzī**, Yaḥyā b. ʿAlī. *Sharḥ al-Muʿallaqāt al-ʿAshr*. Edited by Fakhr al-Dīn Qabāwa. Damascus: Dār al-Fikr, 1997.

• **Al-Ziriklī**, Khayr al-Dīn. *Al-Aʿlām: Qāmūs Tarājim li-Ashhar al-Rijāl wa-al-Nisāʾ min al-ʿArab wa-al-Mustaʿribīn wa-al-Mustashriqīn*. 3rd ed. Beirut: Dār al-Jīl, 1969.

• **Brockelmann, Carl.** *Tārīkh al-Adab al-ʿArabī*. Translated into Arabic by ʿAbd al-Ḥalīm al-Najjār. 3rd ed. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1974.

• **Ḥājjī Khalīfa**, Muṣṭafā b. ʿAbd Allāh. *Kashf al-Ẓunūn ʿan Asāmī al-Kutub wa-al-Funūn*. Beirut: Dār al-Fikr, n.d.

• **Ḥusayn, Ṭāhā.** *Tajdīd Dhikrā Abī al-ʿAlāʾ*. 4th ed. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1951.

• **Dhū al-Rumma.** *Dīwān Dhī al-Rumma*. Commentary by al-Khaṭīb al-Tabrīzī. Introduction, notes, and indexes by Majīd Ṭarrād. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1992.

• **Qabāwa, Fakhr al-Dīn.** *Manhaj al-Tabrīzī fī Shurūḥihi wa-al-Qīma al-Tārīkhiyya lil-Mufaḍḍaliyyāt*. 2nd ed. Beirut–Damascus: Dār al-Fikr al-Muʿāṣir – Dār al-Fikr, 1997.

• **Qajja, Muḥammad.** "Bayna al-Maʿarrī wa-al-Khaṭīb al-Tabrīzī." *Al-Maʿrifa* 529 (October 2007): 18–35.

• **Yaʿqūb, Imīl Badīʿ.** *Al-Muʿjam al-Mufaṣṣal fī Shawāhid al-Naḥw al-Shiʿriyya*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1992.

ISSN: 2394-4862
مجلة اللغة علمية . محكمة . مصنفة .